ألف حكاية وحكاية (٨٦)

مفلس فوق حمار

وحكايات أخرى

يرويها

يعقوب الشارونى



رسوم

عبد الرحمن بكر

مكتبة مصر

زهرة فى السجن

يُحكَى أن نابليون غضبَ يومًا علـى أحـدِ كبارِ مُستشاريه ، بسببِ مكائدِ الحاسدينَ والحاقدينَ ، فأمرَ بوضعِهِ فى السجنِ.

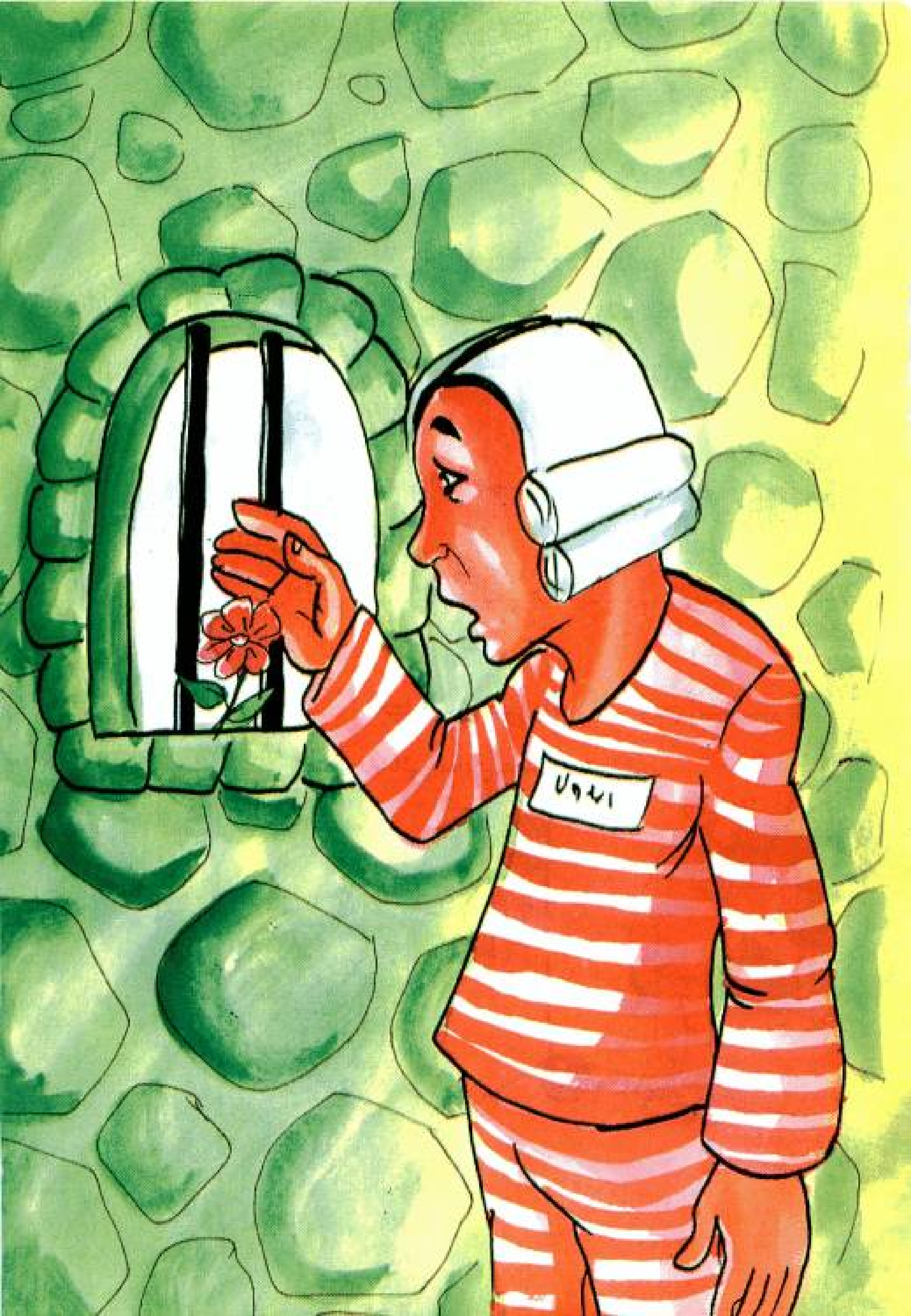
وكانَ المُستشارُ رجلاً فاضلاً عالمًا ، ذكِيًا حكيمًا ، لذلك أرهقَهُ الإحساسُ بالظلمِ إرهاقًا شديدًا ، وهو يُقاسِى عذابَ السجنِ ومرارةَ الوحدةِ ، فكتبَ على جدارِ غرفةِ سجنِهِ الضيقةِ:

"لماذا يتركُ اللهُ الظالمينَ فينتصروا ، ويُهمِلُ المظلومينَ فيتحطَّموا؟!"

وذاتَ يَوْمٍ ، وجدَ نبتةً صغيرةً تحاولُ أن تشقَّ طريقَها خلالَ شقٍّ دقيقٍ فى القاعدةِ الحجريةِ لنافذةِ سجنِهِ الصغيرةِ ، فاهتمَّ بها ، إذ أصبحَتِ الشَّىْءَ الوحيدَ الحَىَّ فى حياتِهِ . كما رأى أنها لم تنبتْ فى ذلك المكانِ إلا بعد أن تغلَّبَتْ على عقباتٍ كثيرةٍ ، ولا تزالُ أمامَها مُعوِّقاتٌ أخرى أقسى وأشدُّ ، فوجَدَ فى حالِها ما يُشبِهُ حالَهُ ، فأخذ يرعاها يومًا بعدَ يَوْمٍ ، ويسقيها من الماءِ القليلِ الذى يسمحونَ له به.

ولم تلبَثِ النبتةُ أن نمَتْ ، وتفتَّحَتْ فوقَها زهرةٌ بيضاءُ غايةً فى الرقةِ والجمالِ ، فخُيِّلَ إليه أن النبتةَ تُحاوِلُ أن تكافئَهُ لأجلِ رعايتِهِ لها ومحبَّتِهِ إياها . عندئذٍ قالَ المُستشارُ لنفسِهِ :

"إن اللهَ الذى لم يهمِلْ هذه النبتةَ الصغيرةَ فى هذا السجنِ المُظلِمِ ، لن يُهمِلَنى."



لذلك قامَ ، ومحا الكتابةَ التى سبقَ أن كتبَها ، وكتبَ بدلاً منها:

"اللهُ لا ينسَى المظلومينَ."

وكانَ للمُشرفِ على السجنِ ابنةٌ صغيرةٌ ، زارَتِ السجنَ ذاتَ مرةٍ مع والدِها ، فشاهدَتِ الزهرةَ البيضاءَ فى نافذةِ غرفةِ المُستشارِ السجينِ ، وعرفَتْ مدى حُبِّهِ لها ورعايتِهِ إياها ، فقصَّتْ قصَّتَها على زوجةِ أحدِ الضباطِ .

وانتقلَتِ القصةُ من فمٍ إلى فمٍ ، حتى وصلَتْ إلى زوجةِ الإمبراطورِ نابليون ، فقالَتْ:

"إن الرجلَ الذى يُحِبُّ زهرةً كلَّ هذا الحبِّ ، لا يُمكِنُ أن يكونَ رجلاً سيِّئًا."

وسرعانَ ما أقنعَتْ زوجَها الإمبراطورَ بإطلاقِ سراحِ المُستشارِ ، الذى حملَ زهرتَهُ ، وعادَ بها إلى سابقِ مجدِهِ وعملِهِ.



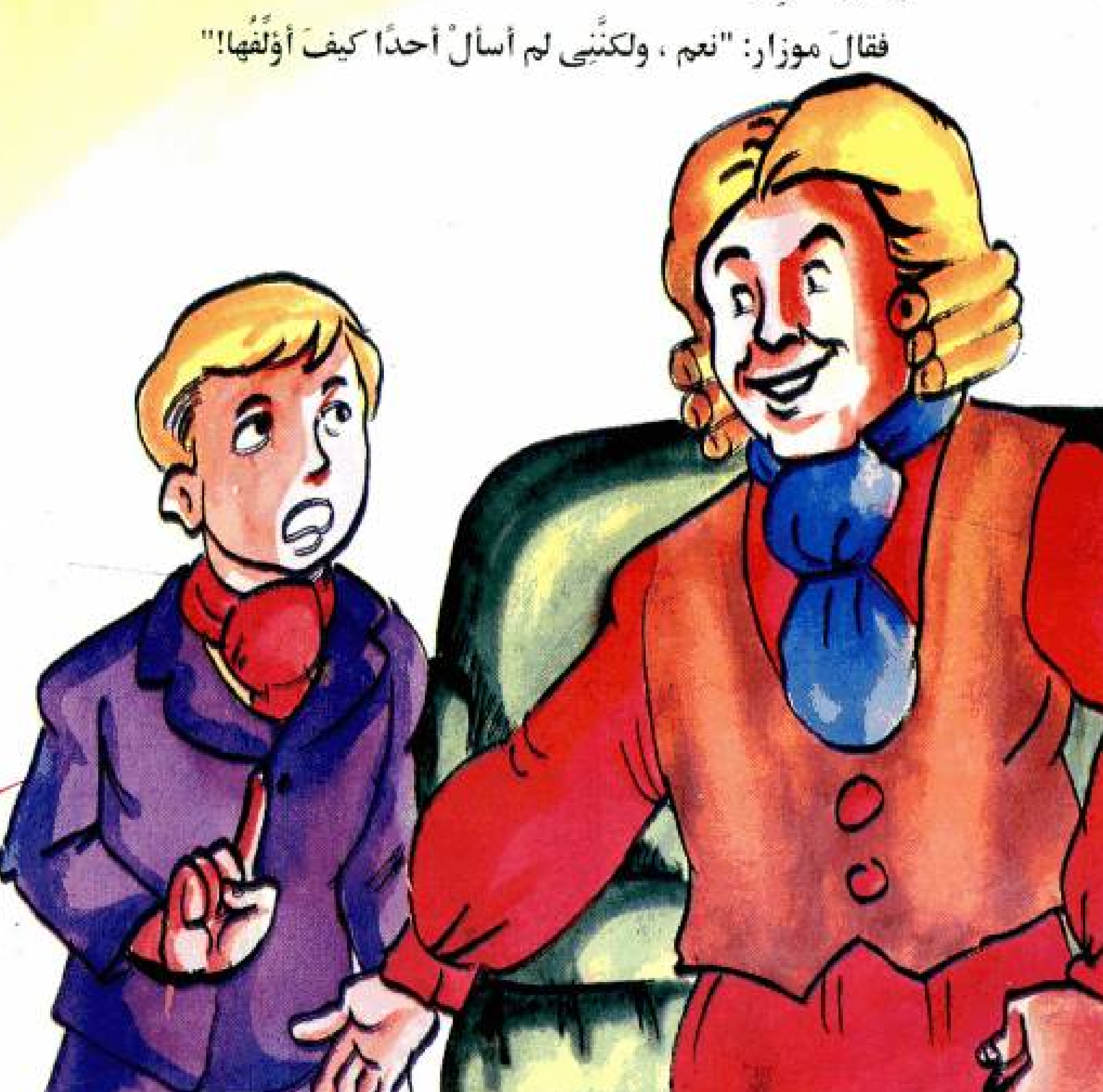
عبقرية

ذهبَ غلامٌ إلى موزار الموسيقِيِّ العظيمِ وسألَهُ: "ماذا أفعلُ لكى أكتبَ سيمفونيةً؟"

فقالَ موزار: "إنكَ لا تزالُ صغيرًا ، فلماذا لا تبدأ بتأليفِ ألحانٍ بسيطةٍ؟"

فقالَ الغلامُ: "ولكنكَ ألَّفْتَ سيمفونيات حين كنْتَ فى العاشرةِ من عمرِكَ؟"

فقالَ موزار: "نعم ، ولكنَّنِى لم أسألْ أحدًا كيفَ أؤلِّفُها!"



بنت فى الماء

كانَ معروفًا عن كريمان أنها فتاةٌ سيئةُ الطبعِ ، تتعمَّدُ أن تكونَ قاسيةً معَ كلِّ الحيواناتِ ، وتبحثُ دائمًا عن وسائلَ لمضايقتِها .

كانَتْ تقولُ وهى تُطلِقُ عليها طلقاتِ الفلّينِ من بندقيةِ الهواءِ التى تلعبُ بها : "إنها حيواناتٌ غبيةٌ قذرةٌ."

وذاتَ يَوْمٍ ، أخذَ الأبُ ابنتَهُ سيئةَ الطباعِ إلى نزهةٍ فى البحرِ بقاربِهِ . ورغمَ تحذيراتِ الوالدِ المُتكرِّرةِ ، ظلَّتْ كريمان تلعبُ



بالقربِ من حافةِ القاربِ . وفجأةً سقطَتْ في ماءِ المُحيطِ!!

وانطلقَتْ تصرخُ: "النجدةَ .. سأغرقُ .. إنني لا أعرفُ العَوْمَ."

ثم أصابَها رعبٌ شديدٌ ، عندما شاهدَتْ أحدَ حيواناتِ الدرفيل التي كانَتْ تلعبُ في الماءِ قُرْبَ القاربِ يَتَّجهُ نَحْوَها ، فعادَتْ تصيحُ: "النجدةَ .. سيأكلُني .. سيعضُّني."

لكنَّ الدرفيل سَبحَ حتى أصبحَ تحتَ كريمان التي أوشكَتْ على الغرقِ ، ورفعَها فَوْقَ ظهرِهِ ، وعادَ إلى قاربِ والدِها.

وما إن عادَتْ سالمةً إلى جوارِ والدِها ، حتى قالَتْ له في انفعالٍ وسعادةٍ:

"لن أعودَ إلى قسوتي على أيِّ مخلوقٍ."

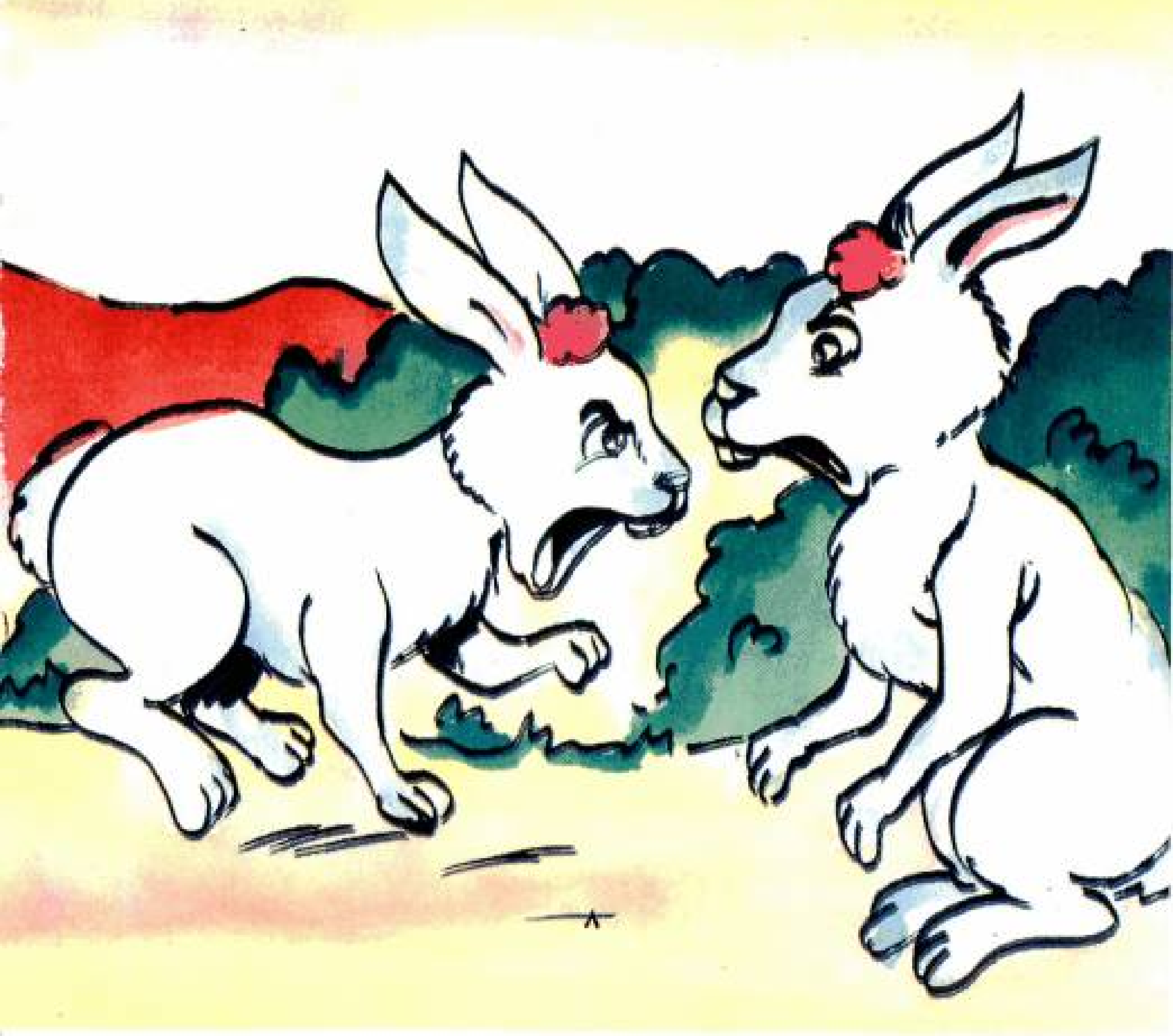


حياتهما هى التى ضاعت!!

قالَ الأرنبُ البرِّىُّ وهو يلهثُ: "إنها كلابُ سلوقيةٌ هذه التى طاردتَنْا."

فقالَ زميلهُ الذى أجهدَهُ الهربُ هو الآخرُ: "بل هى كلابُ صيدٍ عاديةٌ!"

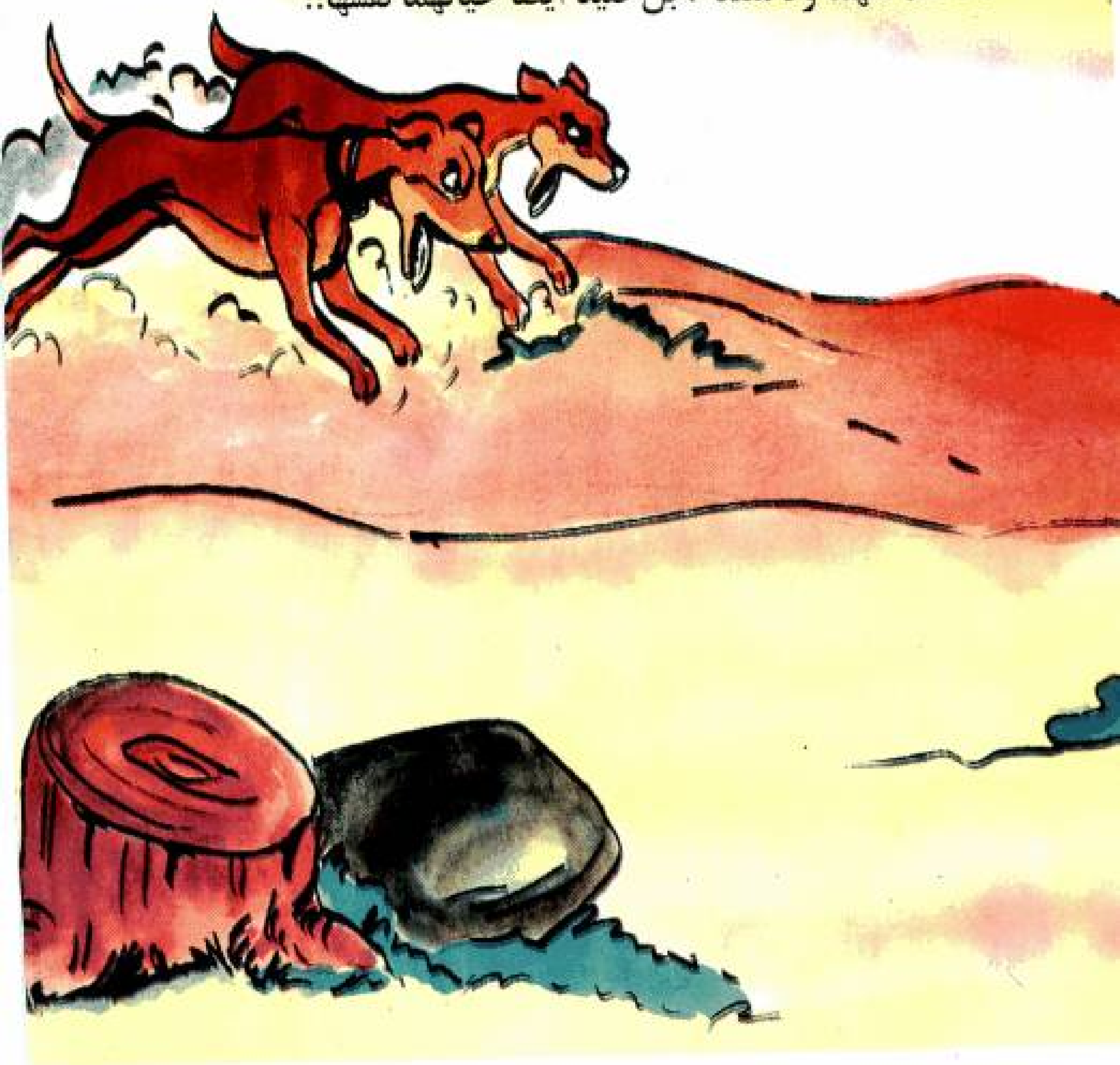
هنا توقَّفَ الأولُ وقالَ فى إصرارٍ: "أنا أعرفُ جيدًا الكلبَ السلوقِىَّ عندَما أراهُ!"



فقالَ الثانى مُتحدِّيًا: "بل أنا الذى أميِّزُ جيدًا كلبَ الصيدِ العادِىَّ بينَ أىِّ عددٍ آخرَ من الكلابِ!!"

هنا اشتدَّ غضبُ الأولِ، فصرخَ فى زميلِهِ: "بل أنتَ لا تعرفُ شيئًا .. إنها كلابٌ سلوقيةٌ ولا كلابَ غيرُها!!"

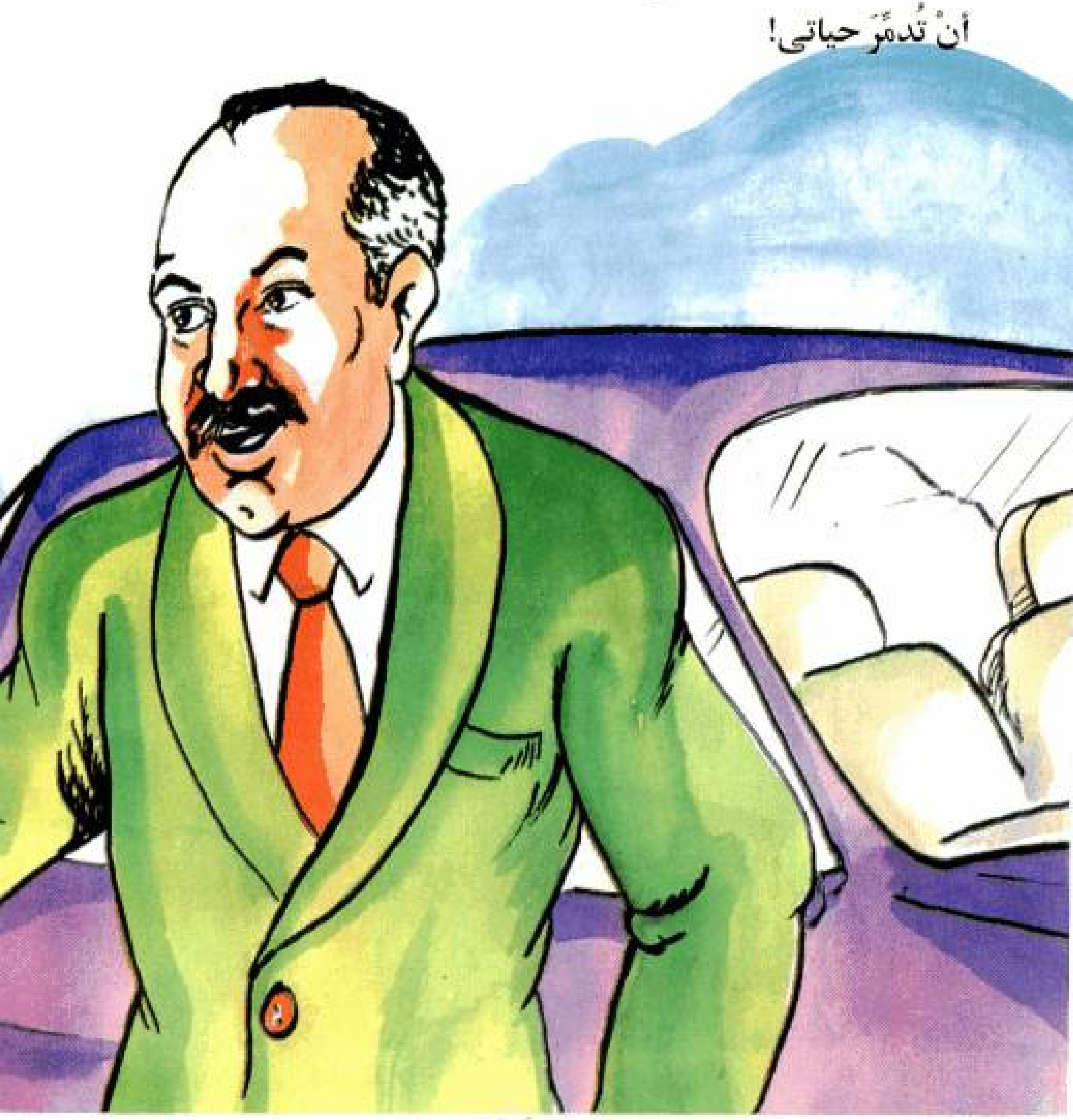
وفى اللحظةِ التاليةِ، انقضَّتِ الكلابُ عليهما، سلوقيةً كانَتْ أم عاديةً. ذلك أن الأرنبَيْنِ لم يُضيِّعا وقتَهما فقط فى خلافٍ ونقاشٍ لا فائدةَ منهما ولا منفعةَ، بل ضيَّعا أيضًا حياتَهما نفسَها!!



نصف الكوب

خرجْتُ يومًا وأنا صبيٌّ أتمشَّى ، فرأيتُ مُدرِّسي يُنظِّفُ سيارتَه أمامَ بابِ منزلِهِ ، فناداني وسألَني: "لماذا يظهرُ عليكَ الحزنُ والكآبةُ؟"

فأخبرْتُه بخيبةِ أملٍ شديدةٍ أصابَتْني لظروفٍ مُعيَّنةٍ ، وأخشى أنْ تُدمِّرَ حياتي!

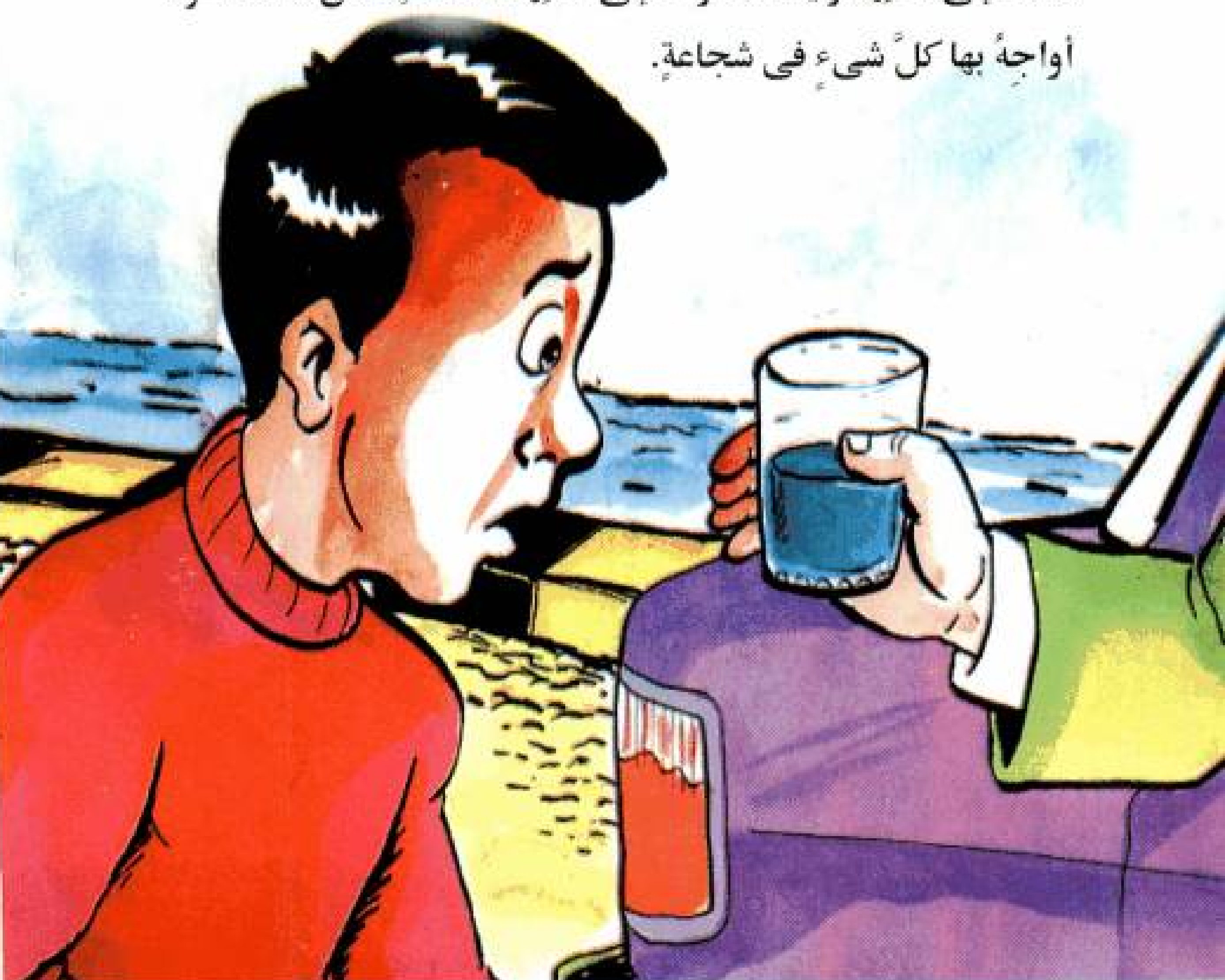


نظرَ أستاذي نحوي نظرةً فاحصةً ، وأمسكَ كوبًا من الماءِ كانَ يستخدمُهُ في غسلِ السيارةِ وقالَ : "هل هذا الكـوبُ مملـوءٌ إلى نصفِهِ، أم فارغٌ إلى نصفِهِ؟!"

فقلْتُ في بطءٍ: "هو هذا وذاك."

فقالَ: "نعم .. ولنْ تجدَ أحدًا كأسُ حياتِهِ ملآنـةٌ كلُّها أو فارغةٌ كلُّها ، ولكلٍّ منَّا نصيبٌ مـن السعادةِ ونصيبٌ من الشقاءِ ، إنَّما يَسْعَدُ أحدُنا أو يشقى نتيجـةً للطريقةِ التي ينظرُ بها إلى كأسِـهِ ، فإنْ رآها ملآنةً إلى نصفِها سعدَ بها ، وإنْ رآها فارغةً إلى نصفِها شقِيَ بها".

وما زِلْتُ أذكرُ كلَّما استولَى علَيَّ الهمُّ أو الجزعُ ، أن الكأسَ ملآنـةٌ إلى نصفِهـا ولَيْسَتْ فارغةَ إلى نصفِهـا ، فأستمِدُّ من ذلك قـوةً أواجِهُ بها كلَّ شيءٍ في شجاعةٍ.



مفلس فوق حمار

يُحكَى أنه كانَ يوجَدُ في قديمِ الزمانِ رجلٌ تراكمَتْ عليه ديونٌ كثيرةٌ ، وكانَ مُفلِسًا ، فاشتكاهُ الناسُ للقاضي ، فطلبَ القاضي منهم ألا يُقرِضوهُ شيئًا بعد ذلكَ ، ومن يقرضْهُ يصبرْ عليه ولا يطالبْهُ بدَيْنِهِ.

وأمرَ القاضي أعوانَهُ بأن يأخذوا الرجلَ ، ويطوفوا به في الأسواقِ ، ليعرفَهُ الناسُ ، ويحرصوا على عدمِ التعامُلِ معه.

واستأجرَ الرجلُ لهذه المُهِمَّةِ حمارًا ليركبَهُ ، وعندما انتهى من



الطوافِ في البلدِ، ووصلَ إلى دارِهِ، وأرادَ أن ينزلَ، قال له صاحبُ الحمارِ: "أين أجرةُ حماري؟"

وفي الحالِ ردَّ عليه الرجلُ قائلاً: "هل أنت أحمقُ؟! ألم تسمعْ ما كنّا نقومُ به منذُ الصباحِ؟!"



ليالى الولائم!!

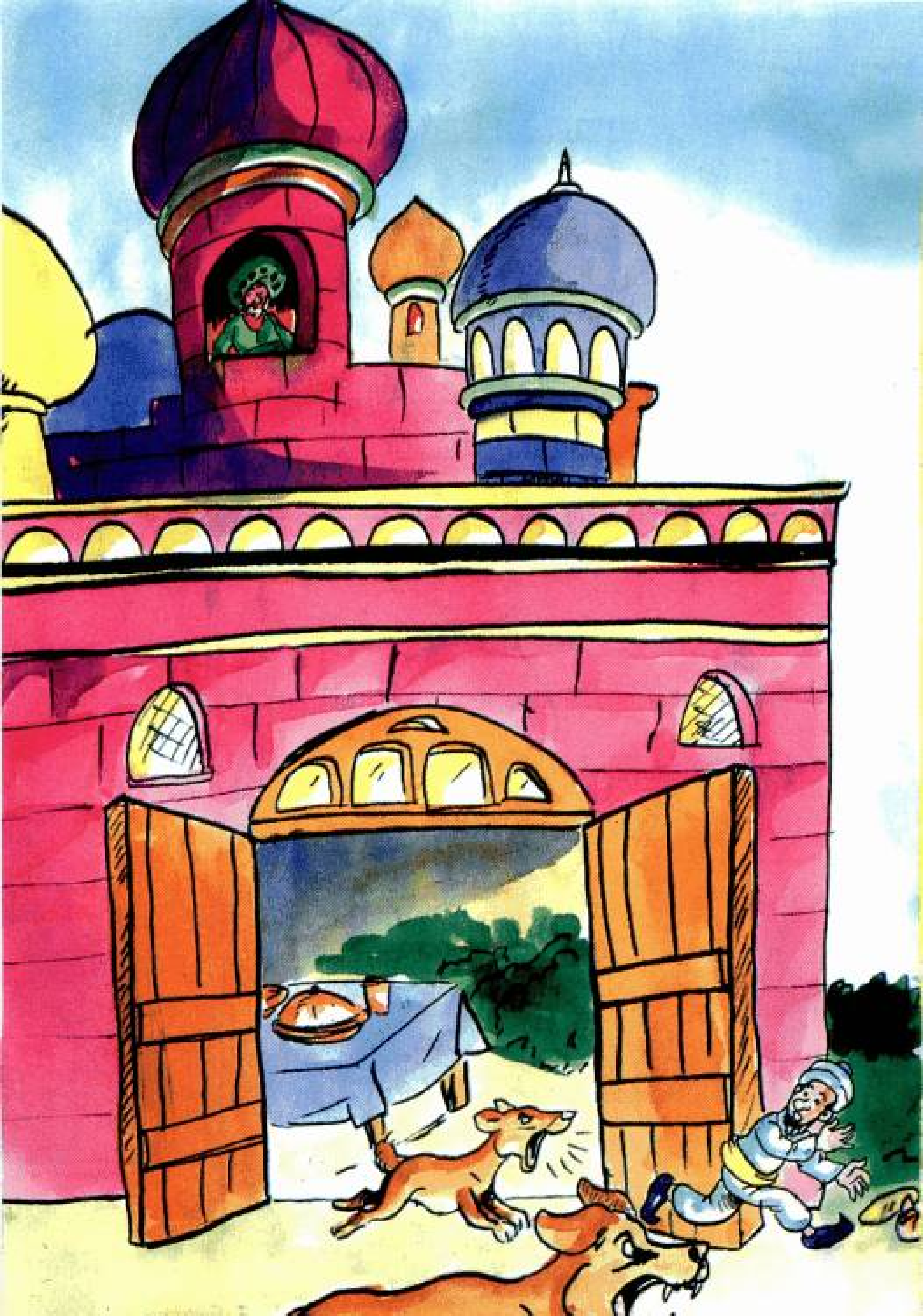
عاشَ رجلٌ واسعُ الثراءِ ، لكنَّهُ كانَ يكنزُ الملايينَ ، ولا يتصدَّقُ على الفقراءِ. أرادَ الثرِيُّ أن يفعلَ شيئًا لتحسينِ سمعتِهِ بينَ الناسِ ، فأعلنَ أنه سيُقيمُ وليمةً مساءَ كلِّ سبتٍ للفقراءِ والمُحتاجينَ.

انتشرَ ذلك النبأ بينَ جيرانِهِ بسرعةِ البَرْقِ . ولمَّا رأوا أبوابَهُ مفتوحةً على مصراعيها ، قالوا: "مسكينٌ هذا الجارُ ... إنه يُنفِقُ كثيرًا من ثروتِهِ ، ولن يتركَ لأبنائِهِ شيئًا."

لكنَّ أعوانَ الرجلِ وحراسَ ثروتِهِ أطلقوا كلابَهُ المُتوحِّشةَ فى ليالى الولائمِ ، فإذا جاءَ فقيرٌ على أملِ أنْ يفوزَ بطعامٍ على مائدةِ الثرِيِّ ، استقبلَتْهُ الكلابُ بنُباحِها وهجومِها . وكانَ السعيدُ منهم مَنْ ينجو بجِلْدِهِ من أنيابِها.

ومع ذلك استمرَّ بعضُ السُّذَّجِ يقولونَ: "إن هذا الرجلَ كريمٌ جدًّا ، لكنه لا يعرفُ أن الكلابَ تمنعُ كرمَهُ من الوصولِ إلى الفقراءِ!!"





لماذا أطفأ الشمعة؟!

يُحكَى أن الخليفةَ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ كان قد أوقدَ شمعةً، ليدرسَ على ضوئِها موضوعًا يُهِمُّ الناسَ. فأتَتْ إليه ابنَتُهُ لتُحادِثَهُ في شأنٍ خاصٍ بها، فما كانَ منه إلا أنْ أطفأَ الشمعةَ.

ودهشَتِ ابنتُهُ، وسألَتْهُ عن سببِ ذلك، فقال لها:

"يا ابنتي .. إن هذه الشمعةَ هي ملكٌ لبيتِ المالِ، ولا يجوزُ أن أستخدمَها أثناءَ حديثٍ خاصٍ، لا شأنَ له بالناسِ أو بأمورِ الحكمِ!!"



بعض قصص هذه المجموعة تم اختيارها وإعادة صياغتها من الأدب الشعبى والعربى القديم والعالمى